وسطية المدرسة الأشعرية المغاربية ودورها في البناء الحضاري

بقلم
أ.د. عمار جيدل ardjidel@gmail.com
ط/دكتوراه: شافعي محمد عبد اللطيف moha350@gmail.com
كلية العلوم الإسلامية- جامعة الجزائر1

ملخص البحث

لقد جاءت طريقة أبي الحسن الأشعري متناسقة في عرض عقائد أهل السنة والجماعة، وصياغتها تارة في قالب كلامي لمواجهة المخالفين، وتارة أخرى في طابع تقريري لتقريب العقائد من الناس، ومن هذا وذاك يمكننا استخلاص أهم السمات والمعالم لهذا المنهج في القضايا الكبرى للعقيدة، ثم تأكيد من جاء بعده وسار على طريقته على هاته الخصائص التي تميزت به الأشعرية عن باقي الفرق، وأهم هاته المعالم هي الوسطية، فقد قدمت الأشعرية عموما والمغاربية خصوصا نموذجا راقيا من نماذج الوسطية، الأمر الذي مكّنَها من تجاوز إشكالية التوفيق بين العقل والنقل، والجمع بين أصول ومقاصد الشريعة، وهاته الوسطية هي التي أعطت القبول والشرعية لمذهب الأشعري عند عموم الأمة، كذلك كان لها مساهمة حضارية فاعلة، وحضور متميز على ساحة الفكر الإسلامي في البناء الحضاري للأمة المسلمة في الغرب الإسلامي خصوصا، وفي العالم الإسلامي عموما، فالمسلمون في الغرب الإسلامي الذين تبنوا مذهب أبي الحسن، وساروا على طريقته، لم يكن دفاعهم عن الأشعرية وانتصارهم لها وتقريرهم لمقالاتها، مجرد تكرار لما دَوَنه أشاعرة المشرق، بل كانت بصمتهم واضحة، ومن أهم تجليات تلكم البصمة التي تركوها، وسطية الطرح والعرض بطريقة متميزة ومبدعة عن غيرهم، وللكشف عن وسطية المدرسة الأشعرية ودورها في البناء الحضاري، جعلنا هذا البحث في مقدمة، ومطلبين، نتناول في الأول، معالم الوسطية عند المدرسة الأشعرية المغاربية، وفي الثاني، المساهمة الحضارية للمدرسة الأشعرية المغاربية، وخاتمة، أشرنا فيها إلى نتائج البحث وأهم التوصيات التي يدعوا إليها البحث.

تمهيد:

لقد قامت الأشعرية على أساس متين من التوسط والاعتدال، الأمر الذي مكّنَها من تجاوز إشكالية التوفيق بين العقل والنقل، والجمع بين أصول ومقاصد الشريعة، وهاته الوسطية هي التي أعطت القبول والشرعية لمذهب الأشعري عند عموم الأمة، ومن ذلك مسلمي الغرب الإسلامي الذين تبنوا مذهب أبي الحسن، ولم يكن دفاعهم عن الأشعرية وانتصارهم لها وتقريرهم لمقالاتها، مجرد حميَّة أو تكرار لما دَوّنه أشاعرة المشرق، بل بصمتهم واضحة في تناول القضايا الكلامية، ومن أهم تجليات تلكم البصمة التي تركوها، وسطية الطرح

والعرض بطريقة متميزة ومبدعة عن غيرهم، تلكم الوسطية كانت دافعا لمزيد من العطاء والمساهمة الحضارية في بناء الفرد والمجتمع والدولة في بلاد الغرب الإسلامي، فإشكالية البحث تتمحور حول تميز الشخصية المغربية بمقومات وهوية ومسار في إعلانها لتحمل المسؤولية واضطلاعها بدورها الأصيل في التنمية ونبذ الغلو والتطرف، والوفاء لنهج الوسطية والاعتدال، فالمذهب الأشعري كان هو السلاح المنيع للمغاربة والعاصم لهم من الفرق الضالة والمذاهب المنحرفة، ولم أجد دراسة سابقة تتكلم عن وسطية المدرسة الأشعرية المغاربية خصوصا، ولكن من أقرب الدراسات إلى موضوع البحث دراسة الدكتور يوسف احنانا، بعنوان تطور المذهب الأشعري بالغرب الإسلامي، فقد تكلم فيه عن كثير من خصائص ومميزات المدرسة الأشعرية المغاربية، وأشار إلى عدة نماذج ساهمت في البناء الحضاري للأمة خاصة في الأندلس، وقد اتبعت في معالجة هذا الموضوع منهجا وصفيا تحليليا، كما يجب التنبيه إلى أن هذا البحث غير منشور ولم يتم الاشتراك به من قبل في ملتقيات سابقة، بل هو خاص بمؤتمر الوسطية في الغرب الإسلامي.

المطلب الأول: معالم الوسطية عند المدرسة الأشعرية المغاربية

إن أساطين الكلام في زمن الإبداع المشرقي كان لهم عميق الأثر في تشكيل الفكر الكلامي المغربي، لكن تعامل المغاربة عموما، وبالخصوص علماء المغرب الأوسط، مع النصوص الكلامية المشرقية، شرحا وتعليقا واختصارا، لم يكن تقليدا ولا تكرارا، فجاءت شروحهم تنقيحا، وتخليصا من غير المفيد، وتهذيبا وتيسيرا، فتذليل المعارف كانت هي الميزة الأساسية في كتابات العقباني والسنوسي وابن زكري.

ومن أهم الكتب التي كان لنصوصها عميق الأثر، كتاب الإرشاد لأبي المعالي الجويني، فقد تأثر به متكلموا الجزائر والغرب الإسلامي عموما، واعتبروه المدخل إلى علم الاعتقاد[1]، واتخذه الناس إماما لعقائدهم، بل كانت له عليهم سلطة جعلت منه في نظرهم محور المعتقد الأشعري وكان يدرس في الصفوف العالية[2]، وبذلك تعاملوا معه نظما واختصارا وشرحا بفهم وبصيرة، فقد جاء في وصف اللخمي المعروف بابن الإشبيلي بأنه: كان له بصر بكتاب الإرشاد[3]، وبقي أثره إلى زمن العقباني والسنوسي بعده، فقد جاء في ترجمة بن عباد أنه قرأ كتاب الإرشاد على الإمام الآبلي شيخ العقباني في العقيدة والكلام[4].

وجاءت العقيدة البرهانية، لأبي عمرو عثمان السلاجي، أفضل تلك المختصرات لكتاب الإرشاد، فظلت لها الصدارة على الساحة المغربية، مرحلة تاريخية طويلة، حفظا ونظما وتدريسا، فقد اتصف اختصاره هذا بالإبداع، حيث استطاع السلاجي، من خلالها أن يؤسس مدرسة نظرية، يحق لنا أن نسميها مدرسة الإرشاد

1- الروض العطر الأنفاس بأخبار الصالحين من أهل فاس، محمد بن عيشون الشراط، 1/ 193، ت: ،زهراء النظام، منشورات كلية الآداب، المغرب، 1997م.

2- ورقات عن الحضارة المغربية في عصر بني مرين، محمد المنوني، ص310، منشورات كلية الآداب، المغرب، 1997م.

3- الروض العطر الأنفاس ، الشراط، 1/ 194.

4- نيل الابتهاج بتطريز الديباج، أحمد بابا بن أحمد بن الفقيه الحاج أحمد بن عمر بن محمد التكروري التنبكتي السوداني، أبو العباس ص: 474، ت: الدكتور عبد الحميد عبد الله الهرامة، الناشر: دار الكاتب، طرابلس – ليبيا، الطبعة: الثانية، 2000 م.

السلاجية، فقد جاء في وصفه بأنه كانت له خبرة وبصيرة بكتاب الإرشاد، وأنه إمام أهل المغرب في الاعتقاد، والأوحد في علم الكلام[5]، فأنتجت مدرسة السلاجي[6]، جملة من علماء المذهب بفاس وبالغرب الإسلامي عموما، وقد شُرِحت البرهانية بشروح كثيرة[7]، تدل على القبول الذي حظيت به عند المغاربة.

بعد ظهور السنوسي الذي كان يؤكد على مبدأ امتازت به المدرسة الأشعرية المغاربية على العموم، وهو ترك التقليد في أصول الدين، انتشرت مصنفاته انتشار النار في الهشيم، فأصبحت هي معتمد المغاربة، فكثرت الشروح والمختصرات والحواشي، التي تمحورت كلها حول مؤلفات السنوسي، وإن كان ظهر بعده

علماء تميزوا في علم الكلام والمنطق، كالهبطي الكبير[8] الذي كان بلقب غزالي زمانه[9]، والهبطي الصغير[10] واليوسي[11].

بعد هذا العرض الموجز للخريطة الكلامية المغاربية، نتكلم عن أهم معالم الوسطية التي امتازت بها عن غيرها:

1/ وسطية بين التنظير والتطبيق: وذلك أن اعتناء أشاعرة الغرب الإسلامي بالكتب الكلامية شرحا ونظما واختصارا، كان متسما بالإبداع فجعلوه منسجما مع خصوصيات الزمان والمكان، خاصة في القرنين السادس والسابع الهجري، حيث كانت هذه المرحلة قمة تطور الأشعرية في الغرب الإسلامي فكثرت فيها إنتاجات المؤلفين حيث تم شرح الإرشاد وحده أكثر من سبعة شروح وهذا لم تبلغه أي منطقة في العالم[12]، وهذا الشرح والتفصيل للقضايا كان بقصد الانطلاق بعلم الكلام إلى آفاق واسعة تراعي خصوصية المنطقة، وتفعل مباحثه، ليكون في مستوى مواجهة التحديات الفكرية والعقدية والاجتماعية المستجدة، وهذا النزول بعلم الكلام إلى واقع الناس، والخروج به من قوقعة التنظير، هو الذي نلمسه في المدرسة المغاربية من خلال كتب

5- التشوف إلى رجال التصوف ، ابن الزيات، 194/1، ت: أحمد التوفيق، منشورات كلية الآداب، المغرب، الطبعة الأولى، 1984م.

6- لمعرفة المزيد حول المدرسة السلاجية انظر: عثمان السلاجي ومذهبيته الأشعرية، جمال علال البختي، وزارة الأوقاف المغربية، 2005م.

7- راجع ثبت شروح العقيدة البرهانية في كتاب تطور المذهب الأشعري بالغرب الإسلامي، يوسف احنانة، وزارة الأوقاف المغربية، 2003م.

8- له عدة رسائل في شرح كلمة التوحيد وله عقيدة وجيزة مطبوعتان ضمن عشرة رسائل من رسائله. انظر: رسائل في التوحيد والهيللة، أبي محمد عبد الله بن محمد الهبطي، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة: الأولى، 2002م.

9- دوحة الناشر لمحاسن من كان بالمغرب من مشايخ القرن العاشر، محمد ابن عسكر الحسني الشفشاوني، ص:8، ت: محمد حجي، الناشر: دار المغرب للتأليف والترجمة والنشر، الرباط، 1977م.

10- له ثلاث رسائل في التوحيد والهيللة، أبي عبد الله محمد بن عبد الله الهبطي، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة: الأولى، 2002م.

11- راجع ثبت شروح العقيدة البرهانية في كتاب تطور المذهب الأشعري بالغرب الإسلامي، يوسف احنانة، وزارة الأوقاف المغربية، 2003م.

12- تطور المذهب الأشعري في الغرب الإسلامي، يوسف احنانة، ص: 144، الناشر: وزراة الأوقاف المغربية، 2003م.

النوازل[13]، والفتاوى العقدية، التي نقلت لنا الكثير من أسئلة الناس إلى العلماء فيما يتعلق بقضايا العقيدة ومسائلها[14]، وحفظت لنا أيضا الكثير من النقاشات والمناظرات التي حدثت بين علماء الزمان في بعض النوازل العقدية، وكذلك الأسئلة الواردة من غير المسلمين، والمناظرات التي حدثت معهم[15]، بالإضافة إلى كتب النوازل هناك كتب ألفت من أساسها لأجل نوازل معينة وقعت في زمان أولئك العلماء[16].

ولقد كان لسيادة المذهب المالكي، بجانب التصوف الجنيدي السني، والكلام الأشعري التوفيقي، سببا ونتيجة في آن واحد، لتلك النزعة العملية، الطاغية على الإنتاج الفكري المغاربي، يقول أحد الباحثين: وقد تمكنت البيئة السنية العملية المغاربية، أن تطبع تصوفها بطابعها الخاص، وأن يسير التصوف بذلك، جنبا إلى جنب، مع المذهب المالكي، بعيدا عن الغلو في الفكر، والتطرف في السلوك[17].

وبذلك صار التصوف إلى جانب الفقه يؤدي الوظيفة نفسها، التي يضطلع بها هذا الأخير، يقول زروق: اعلم أن الفقه والتصوف أخوان في الدلالة على أحكام الله سبحانه[18]، ويقول: تمهيد قواعد التصوف وأصوله على وجه يجمع بين الحقيقة والشريعة، ويصل الأصول والفقه بالطريقة[19].

وهذا ما جعل المغاربة يعتبرون أساطين الكلام هم أساطين الفقه، كما تدل على ذلك عبارة أحد علماء المغرب المختصرين لعقيدة أم البراهين، المعروفة بالصغرى، حيث قال: فإني لما رأيت علم التوحيد، ألف فيه الفقهاء عقائد الكثيرة، ومن جملة من ألف في ذلك الفقيه الإمام الأشعري، وإمام الحرمين وأبو بكر الباقلاني، والشيخ الولي الصالح الورع الزاهد، الناصح للمسلمين، سيدي محمد بن يوسف السنوسي الشريف الحسني، واختصرت هذه الكلمات من عقيدته المسماة بالصغيرة[20].

فهاته المسيرة التي ارتبطت جنبا إلى جنب بالجانب العملي، والتزمت الكتاب والسنة كانت جديرة بتحقيق

13- ومن تلكم الكتب: المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوي أهل إفريقية والأندلس والمغرب، أبي العباس أحمد بن يحيى الونشريسي، ت: خرجه جماعة من الفقهاء بإشراف الدكتور محمد حجي، الناشر: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية للملكة المغربية1401هـ - 1981م، وجامع مسائل الأحكام لما نزل من القضايا بالمفتين والحكام، المعروف بفتاوى البرزلي، أبي القاسم بن أحمد البلوي البرزلي، ت: محمد الحبيب الهيلة، الناشر: دار الغرب الإسلامي، 2002م.

14- انظر: المعيار، الونشريسي، 12/42-74، فتاوى البرزلي، 6/ 362-370.

15- انظر: المعيار، الونشريسي، 11/155-244، فتاوى البرزلي، 6/370.

16- من ذلك: كتاب الحكم بالعدل والإنصاف الرافع للخلاف فيما وقع بين بعض فقهاء سجلماسة من الاختلاف في تكفير من أقر بوحدانية الله، وجهل بعض ما له من الأوصاف، أبي سالم العياشي، ت: عبد العظيم صغيري، الناشر: وزارة الأوقاف المغربية، 2015م.

17- من أجل إعادة الحدث الصوفي بالمغرب، ص: 273.

18- عدة المريد الصادق، أحمد زروق، ص: 266، منشور ضمن: الشيخ أحمد زروق آراؤه الإصلاحية، لإدريس عزاوي، الناشر: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الرباط، 1998م.

19- قواعد التصوف، أحمد زروق، ص: 25، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة: الثانية، 2005م.

20- مختصر من العقيدة الصغرى للسنوسي، مؤلف مغربي غير مذكور، مخطوط محفوظ في الخزانة الحسنية بالرباط، مسجل تحت رقم: 646، الورقة 295-أ.

وسطية واعتدال، بين التنظير والتطبيق.

2/ وسطية بين التقرير والجدال: إن الجدال سِمَة مميزة للدرس الكلامي، لأن علم الكلام[21] مقصوده حماية المعتقدات التي نقلها أهل السنة من السلف الصالح [22]، فحماية عقائد أهل السنة تكون بالدفاع عنها ضد عقائد غير المسلمين، ثم العقائد الضالة المنحرفة، لذلك كانت المناظرة والنقاش والحوار من خصائص الدرس الكلامي، لكن توسع فيه بعض العلماء خاصة المتأخرون منهم، إلى أن امتزج واختلط بالفلسفة، يقول ابن خلدون: ولما وضع المتأخرون في علوم القوم [أي الفلاسفة] ودونوا فيها، ورد عليهم الغزالي ما رد منها، ثم خلط المتأخرون من المتكلمين مسائل علم الكلام بمسائل الفلسفة، لعروضها في مباحثهم وتشابه موضوع علم الكلام بموضوع الإلهيات، ومسائله بمسائلها، فصارت كأنها فن واحد، ثم غيروا ترتيب الحكماء في مسائل الطبيعيات والإلهيات، وخلطوهما فناً واحداً، قدموا الكلام في الأمور العامة، ثم أتبعوه بالجسمانيات وتوابعها، ثم بالروحانيات وتوابعها إلى آخر العلم، كما فعله ابن الخطيب في المباحث المشرقية، وجميع من بعده ممن علماء الكلام[23].

والمتتبع لكتب المتأخرين يلاحظ هذا المنهج واضحاً، حتى إن مباحث الإلهيات – وهي المقصودة – لا تأخذ من الكتاب الواحد منها إلا جزءاً صغيراً في آخر الكتاب، والباقي كله مقدمات منطقية وطبيعية وفلسفية، وقد علل هؤلاء المتأخرون هذا المزج بمثل قول التفتازاني: لما كان من المباحث الحكمية ما لا يقدح في العقائد الدينية ولم يناسب غير الكلام من العلوم الإسلامية خلطها بمسائل الكلام إفاضة للحقائق، وإفادة لما عسى أن يستعان به التقصي عن المضائق وإلا فلا نزاع في أن أصل الكلام لا يتجاوز مباحث الذات والصفات والنبوة والإمامة والمعاد وما يتعلق بذلك من أحوال الممكنات[24].

ومع هذا التعليل إلا أن وسطية المدرسة المغاربية، أبت هذا الخلط والامتزاج والتوسع، قال السنوسي: وليحذر المبتدي جهده أن يأخذ أصول دينه من الكتب التي حشيت بكلام الفلاسفة وأولع مؤلفوها بنقل هوسهم وما هو كفر صراح من عقائدهم التي ستروا نجاستها بما ينبههم على كثير من اصطلاحاتهم وعباراتهم التي أكثرها أسماء بلا مسميات، وذلك ككتب الإمام الفخر في علم الكلام، وطوالع البيضاوي ومن حذا حذوهما في ذلك، وقل أن يفلح من أولع بصحبة الفلاسفة[25].

21- راجع تعريفه في: إحصاء علوم الدين، أبو نصر الفارابي، ص:121، ت: عثمان أمين، الطبعة: الثالثة، 1968م، المواقف، عضد الدين الإيجي، 31/1، ت: عبد الرحمن عميرة، الناشر: دار الجيل – لبنان – بيروت، الطبعة: الأولى، 1417هـ – 1997م، المقدمة، عبد الرحمن بن خلدون، ص:507، دار الجيل، بيروت.

22- إحياء علوم الدين، أبو حامد الغزالي، 40/1، الناشر: دار المعرفة – بيروت.

23- المقدمة، بن خلدون، ص:466.

24- شرح المقاصد في علم الكلام، سعد الدين مسعود بن عمر بن عبد الله التفتازاني الشافعي، 14/1، الناشر: دار المعارف النعمانية – باكستان، الطبعة: الأولى، 1401هـ – 1981م.

25- شرح أم البراهين، محمد بن يوسف السنوسي، ص: 70-71، الناشر: مطبعة الاستقامة، الطبعة: الأولى، 1351هـ.

فهذا التحذير جاء موافقا للطابع التقريري الذي ميَّز معظم المؤلفات الكلامية المغاربية، فكان كثير منها عبارة عن ورقات قليلة يسيرة الفهم، وذلك كمرشدة ابن تومرت[26]، وبرهانية السلاجي[27]، وبعدهما عقائد السنوسي، التي كانت تتدرج بالقارئ أو الطالب لهذا العلم، فمن صغرى الصغرى إلى الصغرى ثم الوسطى ثم الكبرى، ومن واجه غموضا أو إشكالا يراجع شروحها، فقد وضع الإمام السنوسي شروحا لمعظم المتون التي صنفها، وهذا يدل على وسطية المدرسة الأشعرية المغاربية بين التوسع والاختصار.

3/ وسطية بين التطرف والتفريط: لقد حرص أشاعرة المغرب على تنقية التصوف من أي شائبة تشوبه، وتصفيته من أي بدعة تكدره، فقد حرصوا أن يكون تصوفا موافقا للكتاب والسنة، على منهج السلف الصالح، فابتعدوا عن التصوف الفلسفي كذلك عن التصوف الإشراقي الذي أغرق فيه صوفية الأندلس، قال ابن خلدون: ثم إن كل هؤلاء المتأخرين من المتصوفة المتكلمين في الكشف و فيما وراء الحس توغلوا في ذلك فذهب الكثير منهم إلى الحلول و الوحدة كما أشرنا إليه، وملئوا الصحف منه، مثل: الهروي في كتاب المقامات له و غيره، وتبعهم ابن عربي و ابن سبعين و تلميذهما ابن العفيف وابن الفارض والنجم الإسرائيلي في قصائدهم، وكان سلفهم مخالطين للإسماعيلية المتأخرين من الرافضة الدائنين أيضا بالحلول وإلهية الأئمة مذهبا لم يعرف لأولهم فأشرب كل واحد من الفريقين مذهب الآخر، واختلط كلامهم وتشابهت عقائدهم[28].

وبعد معركة العقاب ظهر نشاط صوفي مغربي متميز، كان يهدف إلى تخليص الفكر الصوفي من النزعة الإشراقية، التي علقت به في المشرق والأندلس، وطبعته بطابع العملي بتعميقه لقيمة الجهاد بين أتباعه، وإعلاء فضيلة الرباط على الثغور والسواحل[29]، فجمعوا بذلك بين الجهاد والمجاهدة، قال السكوني: وليحترز أيضا من مواضع في كلام ابن عربي الطائي في الفتوحات المكية والفصوص، ومن مواضع كثيرة من قصائده، وليحترز أيضا من مواضع كثيرة من قصائد ابن الفارض الشاعر، وأمثاله مما يشيرون بظاهره إلى القول بالاتحاد والحلول، وهو باطل بالبراهين القطعية[30].

كما كان لهم نشاط أيضا في الحرص على موافقة أفعال الناس للشرع، واستنكار البدع والحوادث التي ابتدعها الناس، ومن ذلك كتاب المدخل لابن الحاج[31]، وهو كتاب لم يلتزم فيه مؤلفه تصنيفه على كتب

26- انظر: شرح مرشدة ابن تومرت، أبي عبد الله محمد ابن خليل السكوني، ت: يوسف احنانة، الناشر: دار الغرب الإسلامي، الطبعة: الأولى، 1993م.

27- انظر: دراسة الأستاذ جمال علال البختي المسماة: عثمان السلاجي ومذهبيته الأشعرية، وهي من منشورات وزارة الأوقاف المغربية، 2005م.

28- المقدمة، عبد الرحمن بن خلدون، 159/2، الناشر: دار الجيل، بيروت.

29- تجليات الفكر المغربي، عبد المجيد الصغير، ص: 44-45، الناشر: شركة النشر والتوزيع للمدارس، الدار البيضاء - المغرب.

30- لحن العوام في علم الكلام، أبي علي السكوني، ص: 213، ت: سعد غراب، من دون طبعة ومن دون تاريخ.

31- وهو من منشورات دار التراث من دون طبعة ومن دون تاريخ.

وأبواب المسائل الفقهية، واشتمل كتابه على محاربة البدع والمنكرات التي ابتدعها العامة في أداء العبادات والطاعات وحث على الالتزام بالسنة وأحيانا يذكر الحكم مع دليله.

ولم تقتصر جهود الأشعرية في تخليص التصوف من بعض ما دخل عليه، وإنكار البدع بل حاربوا كل غلو وتطرف ومن ذلك غلاة الرافضة والفلاسفة، قال السكوني: وليحترز أيضا من كتاب رسائل إخوان الصفاء فإن مؤلفها من رؤوس الملحدين والمدلسين للدين والمجانبين لطريق الإسلام والمسلمين[32].

المطلب الثاني: المساهمة الحضارية للمدرسة الأشعرية المغاربية

لقد كان للأشعرية دور كبير وأساسي في القفزة الحضارية التي عاشها الغرب الإسلامي، فدولة الموحدين التي بلغت بالغرب الإسلامي إلى أوج حضارته وازدهاره وكذلك من جاء بعدها من الدول، قامت كلها على أساس عقدي واحد وهو الأشعرية، ففي زمن الموحدين استوت الشخصية العلمية للمغرب الإسلامي في صورتها التامة بفضل طابع الدولة العقائدي، وما وفروا من جو الحرية أرحب من الجو الذي وفره المرابطون[33]، قال المراكشي: ولم يزل أمير المسلمين من أول إمارته يستدعي أعيان الكتاب من جزيرة الأندلس، وصرف عنايته إلى ذلك؛ حتى اجتمع له منهم ما لم يجتمع لملك[34]، وقال: فانقطع إلى أمير المسلمين من الجزيرة من أهل كل علم فحوله، حتى أشبهت حضرته حضرة بني العباس في صدر دولتهم[35]، فكان لعلماء الأشعرية مساهمة في جميع الميادين العلمية والفكرية والثقافية، كانت السبب وراء الإرث الحضاري الذي تركوه، ومن أبرز تلكم المساهمات في البناء الحضاري:

1/ تعميم علم الكلام: فكان الشعار الذي حملوه عدم إلجام العوام عن علم الكلام، مناقضا لما تبناه بعض أشعرية المشرق، وكان ابن تومرت يقوم بنفسه بشرح وتدريس ما كتبه من مؤلفات ويلقن للناس فحواه، وقد قال ابن خلدون في هذا المعنى: فنزل –أي المهدي– على قومه وذلك سنة خمس عشرة وخمسمائة. وبنى رابطة للعبادة اجتمعت إليه الطلبة والقبائل يعلّمهم المرشدة في التوحيد باللسان البربري[36]، وذكر ابن القطان بشيء من التفصيل المسائل التي كان يدرسها المهدي، والأساليب التي كان يتبعها لإنفاذ أفكاره، وضمان نجاعة تعليمه[37]، ولما تولى عبد المؤمن أصدر مرسوما يأمر فيه عامة الناس بدراسة علم الكلام، وذلك من خلال قراءة مؤلفات

32- لحن العوام، السكوني، ص: 211.

33- انظر: الموحدون في الغرب الإسلامي تنظيماتهم ونظمهم، عز الدين عمر موسى، ص:53-54، الناشر: دار الغرب الإسلامي، الطبعة: الأولى، 1991م.

34- المعجب في تلخيص أخبار المغرب من لدن فتح الأندلس إلى آخر عصر الموحدين، عبد الواحد بن علي التميمي المراكشي، محيي الدين، ص: 132، ت: الدكتور صلاح الدين الهواري، الناشر: المكتبة العصرية، صيدا-بيروت، ط: 1، 1426هـ - 2006م.

35- المعجب، المراكشي، ص: 123.

36- ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، عبد الرحمن بن محمد بن محمد، ابن خلدون أبو زيد، ولي الدين الحضرمي الإشبيلي، 6/ 303، ت: خليل شحادة، الناشر: دار الفكر، بيروت، ط: 1، 1408 هـ - 1988 م.

37- نظم الجمان في أخبار الزمان، أبو الحسن علي بن محمد الكتابي الفاسي، ابن القطان، ص: 26-27، ت: علي مكي، الناشر: جامعة محمد الخامس، الرباط.

المهدي في العقيدة، وضبط لهم في ذلك أقدار معينة، وتراتيب خاصة يتبعونها، وقد نقل البيدق نص المرسوم وفيه: يلزم العامة ومن في الديار قراءة التي أولها (اعلم أرشدنا الله وإياك) وحفظها وتفهمها[38]، وعقيدة المرشدة لا تتجاوز صفحتين، وقد أقبل الناس على تعلمها والعلماء على شرحها[39]، وهذا الذي فعلوه ساهم بشكل كبير في رفع المستوى العلمي والمعرفي وهذا الذي نلمسه كما أشرنا سابقا في الأسئلة التي كانت ترد على علماء الغرب الإسلامي، وارتبط الكلام بالنوازل الفقهية، فإنزال علم الكلام إلى العامة اضطر العلماء إلى تبسيط مضامين العقيدة واختصار المصنفات الكلامية حتى يسهل على الناس تناولها والاقتراب منها، وحتى لا يسبب أي شيء فيها داعيا لنفورهم منها وبعدهم عنها، وهذا هو السبب في رواج فتوى عدم جواز التقليد في أصول الدين، التي اشتهرت عند أشاعرة الغرب الإسلامي، قال السنوسي: ولا يرضى لعقائده حرفة التقليد فإنها في الآخرة غير مخلصة عند كثير من المحققين[40]، فكثر بهذا التصنيف في العقائد الموجزة، وصار المسلم يستطيع حفظها وفهم مباحثها، ومن المصنفات التي تدل على تفاعل العلماء مع عامة الناس، كتاب لحن العوام فيما يتعلق بعلم الكلام، للإمام السكوني، وهو في التحذير من ألفاظ يقع فيها العوام، وهي مخالفة لصحيح الاعتقاد، فهو مساهمة منه رحمه الله في تصحيح عقائد الناس، ومما يؤكد وعي أشعرية الغرب الإسلامي بأهمية العقيدة في بقاء الأمة أو زوالها، أن السكوني ربط سقوط أشبيلية في يد النصارى بتغلغل الفساد في عقائد الناس، كم هو مؤدى قوله: وكان بأشبيلية إبراهيم ابن سهل اليهودي الشاعر، يُضَمِن شعره آيات من القرآن الكريم، محرفة عما أنزلت فيه، فلم يُذكر أن أحدا غَيَّر عليه ذلك، فكان ذلك من دواعي خراب أشبيلية[41].

2/ الوحدة المغاربية: الوحدة الفكرية الموضوعية الجامعة باشتمالها على الاعتقادات والمسائل العملية التي يتميز بها المسلم عن غيره في شؤون الحياة كلها، عباداته ومعاملاته الخاصة والعامة، والآداب والرقائق التي تهتم بالنفس الإنسانية في تزكيتها وتهذيبها، ولقد ساهمت الأشعرية في الغرب الإسلامي في بناء مرجعية، كما ساهمت أيضا في تعزيز النسيج الاجتماعي المغاربي، وذلك لأن أهمية علم الكلام المغاربي تكمن في نزوله من برجه العاجي، ليقوم بوظيفة تفاعلية وتفعيلية، مع سائر العلوم في المجتمع، وهذا هو سر بناء الثقافة المغاربية وتشييدها على ثلاثة مذاهب هي: الأشعرية والمالكية والجنيدية، هي بمثابة الأركان والركائز، وسيظل فهمنا للثقافة المغربية قاصرا، وغير ذي بال، ما لم ندرسها باستحضار هذه المكونات مجتمعة، بسبب التداخل العميق بينها.

فإذا كان فقهاء المشرق قد استنكفوا عن علم الكلام، ومتصوفتهم قد قل باعهم في هذا العلم، فبالعكس من ذلك كان فقهاء المغاربة صوفية متكلمين، حتى كدنا نعجز عن العثور على متكلم متجرد عن السلوك

38- أخبار المهدي ابن تومرت وبداية دولة الموحدين، أبي بكر ابن علي الصنهاجي المكنى بالبيدق، ص: 40، ت: علي مكي، الناشر: دار المنصور، الرباط، 1971م.

39- انظر ثبت شروحها في المهدي ابن تومرت، عبد المجيد النجار، ص: 446، الناشر: دار الغرب الإسلامي، ط:1، 1983م.

40- انظر: حواش على عمدة أهل التوفيق والتسديد في شرح عقيدة أهل التوحيد الكبرى للسنوسي، إسماعيل بن موسى الحامدي، ص: 39، الناشر: مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر، 1936م.

41- لحن العوام، السكوني، ص: 148.

الصوفي بعد عصر السلاجي[42]، فأعمدة الكلام وأساطين التصوف المغربي كانوا من كبار الفقهاء، فالمالكية يتبعون في ذلك الإمام مالك فإن بعد أن رسم في موطئه المنهج القويم مهتديا بطريقة أهل المدينة ومقتفيا آثارهم، ختمه بالكتاب الجامع، الذي هو من وضع الإمام وإبداعه لم يسبق إليه، قال القرافي: كتاب الجامع، هذا الكتاب يختص بمذهب مالك لا يوجد في تصانيف غيره من المذاهب وهو من محاسن التصنيف، ...، وسموها بالجامع أي جامع الأشتات من المسائل التي لا تناسب غيره من الكتب وهي ثلاثة أجناس: ما يتعلق بالعقيدة، وما يتعلق بالأقوال، وما يتعلق بالأفعال، وهو الأفعال والتروك بجميع الجوارح[43]، ولقد سار على هذا التقسيم الثلاثي، ثلة من أئمة المذهب في الغرب الإسلامي، نذكر منهم على سبيل المثال:

* الإمام ابن أبي زيد القيرواني (ت: 386هـ) في كتابه: الرسالة.
* الإمام أبو الوليد ابن رشد الجد القرطبي (ت: 520هـ) في كتابه: المقدمات الممهدات.
* الإمام أبو العباس القرافي (ت: 684هـ) في كتابه: الذخيرة.
* الإمام أبو القاسم ابن جزي الغرناطي (ت: 741هـ) في كتابه: القوانين الفقهية.
* الإمام عبد الواحد ابن عاشر الفاسي (ت: 1040هـ) في متنه المشهور: المرشد المعين على الضروري من علوم الدين.

وهذه الوحدة الموضوعية الجامعة لها أهمية قصوى وأثر بالغ في التوجيه والإرشاد، إذ تقدم من خلالها مهمات العلوم الثلاثة: الفقه والعقائد والتصوف، المتعلقة بأقسام الدين الثلاثة: الإسلام والإيمان والإحسان، وهذا الذي أسهم في ترسيخ الوحدة المغاربية، لأن هذا التداخل غير قابل للفصل وقد عبر عنه ابن عاشر في نظمه المسمى المرشد المعين على الضروري من علوم الدين، الذي جمع فيه بين العقائد والفقه والتصوف:

في عقد الأشعري وفقه مالك وفي طريقة الجنيد السالك

وهذا البيت في ثقافة المغاربة يعبر عن اكتمال بناء خياراتهم وانتماءاتهم الدينية والمذهبية واستقرارها، يقول المهدي الوزاني[44]: فنحن في التوحيد على مذهب الأشعري، وفي الأحكام على مذهب مالك، وفي الرقائق والآداب على مذهب الجنيد[45].

وما ذكره ابن عاشر ذكره بنحو الإشارة أحمد المقري، في منظومته: إضاءة الدجنة في عقائد أهل السنة[46]،

42- عثمان السلاجي ومذهبيته الأشعرية، البختي، ص: 143.

43- الذخيرة، أبو العباس شهاب الدين أحمد بن إدريس بن عبد الرحمن المالكي الشهير بالقرافي، 13/ 231، ت: محمد حجي – سعيد أعراب – محمد بوخبزة، الناشر: دار الغرب الإسلامي – بيروت، الطبعة: الأولى، 1994 م.

44- انظر ترجمته في: الأعلام، خير الدين الزركلي، 7/ 114، الناشر: دار العلم للملايين، الطبعة: الخامسة عشر، 2002م.

45- رسالة النصر في كراهة القبض والاحتجاج لمن نازع فيها في صلاة الفرض، المهدي الوزاني، مخطوط محفوظ في الخزانة الحسينية بالرباط، مسجل تحت رقم: 12198، الورقة 23-أ.

46- إضاءة الدجنة في اعتقاد أهل السنة، أحمد المقري، مراجعة وتعليق وتصحيح أبي الفضل عبد الله ابن الصديق الغماري، مكتبة القاهرة مطبعة محمد عاطف، القاهرة، 1954م.

حيث قال في أول بيت:

يقول أحمد الفقير المقري المغربي المالكي الأشعري

حيث تحيل كلمة الأشعرية إلى العقيدة الأشعرية، والمالكي إلى مذهب مالك بن أنس، وتحيل الفقير إلى مذهبه في التصوف والذي لن يخرج عن طريق الجنيد، وتحيل المغربي إلى أصله وهو تلمسان ثم انتقاله إلى فاس، وتدل على تميز المغاربة بنسج ثقافتهم نسجا محكما بمنوال هذه المذاهب الثلاثة.

ولذا نجد الترجمات المغربية منذ وقت مبكر، تركز في تحلية المترجم على نعته برفع المزية في هذه العلوم الثلاثة المذكورة، مثال ذلك ما ورد في ترجمة علي ابن خيار الفاسي[47]، بأنه كان فقيها حافظا مشاورا، رافضا التقليد ميالا إلى النظر والاجتهاد، متفننا حسن المشاركة في العربية وعلم الكلام وأصول الفقه والتصوف[48]، حيث يلفت انتباهنا ارتباط حسن المشاركة في علم الكلام وأصول الفقه والتصوف بعناصر لها دلالة عميقة وهي النظر والاجتهاد، وهذا يحمل دلالات كثيرة أهمها: أن تجديد الفكر الديني لدى علماء المغرب ارتبط ارتباطا وثيقا بتداخل العلوم الثلاثة المذكورة.

3/ الشرح والبيان والتجديد: بالإضافة إلى التسهيل والتبسيط، فإن من أهم المساهمات الحضارية لأشاعرة الغرب الإسلامي، عكوفهم على شرح العقائد المتداولة بين الناس، قال ابن النقاش في شرحه على مرشدة ابن تومرت: فإن معرفة الله سبحانه وتوحيده مقدم على كل قول وعمل، وآكد شيء بادر إليه المرء، وجعله أول ما به اشتغل، وأن الإمام المهدي كان من حرصه على هداية الخلق، واستمرار كلمة الحق، أن سهَّل على الناس طرق الاستدلال، ووضع تصانيف العقائد، رفعا للالتباس عليهم، وبيانا للإشكال، وكان يأتي كل قوم بلغتهم، وكل طائفة من بابها، حتى لقد رأيت له عقيدة باللسان البربري، وبالمصمودي، ولم يزل رضي الله تعالى عنه إلى أن اشتهرت طريقته الدينية، واتضحت الملة الحنيفية[49].

حتى مع سهولة متون العقائد المشهورة إلا أنها حظيت بعناية بالغة من أشعرية المغرب فكثرت شروح المرشدة، والبرهانية، وأم البراهين، وغيرها من متون العقيدة، كذلك أصول كتب العقيدة ككتاب الإرشاد للجويني، فقد تعددت شروحه، وهاته الشروح ليت إعادة واجترار كما يعتقد البعض بل هي روح تجديدية تسري في أشاعرة الغرب، بل قد يصل بعض علماء الغرب الإسلامي لمخالفة الأشعري نفسه، كعلي ابن ميمون

47- انظر ترجمته في: تاريخ الإسلام، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد الذَهَبي، 40/13، ت: بشار عواد معروف، الناشر : دار الغرب الإسلامي، الطبعة: الأولى، 2003م، الإعلام بمن حل بمراكش وأغمات من الأعلام، العباس ابن إبراهيم السملالي قاضي مراكش، 9/ 61، الناشر: المطبعة الملكية، الرباط، الطبعة: الثالثة، 1993م.

48- الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة، أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الملك الأنصاري الأوسي المراكشي، 17/5، ت: الدكتور إحسان عباس، الدكتور محمد بن شريفة، الدكتور بشار عواد معروف، الناشر: دار الغرب الإسلامي، تونس، الطبعة: الأولى، 2012 م.

49- الدرة المفردة في شرح العقيدة المرشدة، ابن النقاش، مخطوط بالخزانة الحسنية، الرباط، مسجل تحت رقم: 12467، الورقة 176-ب.

الغماري، الذي عدل عن مذهب أبي الحسن الأشعري في بعض آرائه، ليأخذ مثلا برأي النسفي، أو أبي حنيفة[50]، ونمثل أيضا بعَلَم من أعلام أشاعرة الغرب الإسلامي، الذي كان فقيه الجزائر في عصره، وهو محمد بن علي الخروبي الجزائري المالكي، أبو عبد الله[51]، الذي تعددت مستويات الإصلاح لديه، فشملت ما هو معرفي واقتصادي وسياسي، فعلى المستوى المعرفي استطاع أن يسهم في تثبيت دعائم العقيدة الأشعرية في الغرب الإسلامي، والإسهام في تنشيطها وتفعيلها، ومن تجليات ذلك:

أ- مناظراته: التي بعثت روح الحيوية والنشاط وأعطت نفسا جديدا في عرض القضايا الكلامية، فقد كان مناظرا لا يشق له غبار في مسائل دقيقة من مسائل التوحيد، إذ كانت له مناظرات مع أساطين أشاعرة المغرب، خاصة مع محمد ابن عبد الرحمن اليسيثني[52]، وعبد الله ابن محمد الهبطي، وهذه المناظرات هي التي ميزت فكر الأشعري بالمرونة، فكان فكره متطورا.

ب- الارتقاء بالتوحيد: من مستوى التنظير، ليتحول إلى ممارسة أخلاقية، ومناجاة الله تعالى من خلاله، وبعبارته: إذ قلب العبد العارف محل للأسرار، ومعدن لنزول الأنوار، وهو موطن الخطاب الرباني[53].

ج- تصحيح المفاهيم العقدية: التي أفرغت من محتواها الأشعري لدى بعض الصوفية، الذين تمكنت منهم البدع، فصار الإلهام مثلا، يقدم كأنه خطاب حقيقي من الرب لعبده، والحال أنه لا يصح إلا بأمر باطني، يقول الخروبي: فيسمع خطاب الرب بسمع قلبه، من غير حرف ولا صوت ولا أين ولا كيف، إنما هي إشارات لطيفة خفية، تدق عن الفهوم البشرية، تجل أن تطرق الأسماع الإنسانية، وإنما يفهمها الروح الأمين عن السر المكين، وتنزل من عرش الغيوب إلى سماء القلوب، فإذا أراد الحق سبحانه بروز شيء من هذه المخاطبات، أو ظهور شيء من هذه الإشارات، على لسان عبده الولي العارف برده من حضرة الجمع، إلى حضرة الفرق، ومن بساط الأنس إلى عالم القبض، وأنطق اللسان عما لاح في الجنان[54].

د- إصلاح الطرق الصوفية: وقد ألَّف مصنفات في تحقيق هذا المقصد من أهمها لاميته الموسومة بـ: تبصرة السالكين وهداية المريدين والسائرين لحضرة رب العالمين، يوصي فيه باتباع الشرع وجعله ميزانا لتقويم تصرفات السالك إلى الله.

وهذا التجديد لا يتعارض مع تأسيس الشخصية المسلمة الأصيلة والسوية، فأصالتها تكون بالتمسك

50- رسالة الإخوان إلى سائر البلدان، علي بن ميمون الغماري، ص: 13، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، 2002م.

51- انظر ترجمته في: مُعجَمُ أعلام الجزائر مِن صَدر الإسلام حَتّى العَصر الحَاضِر، عادل نويهض، ص: 132، الناشر: مؤسسة نويهض الثقافية للتأليف والترجمة والنشر، بيروت – لبنان، الطبعة: الثانية، 1400 هـ - 1980 م، الأعلام، الزركلي، 292/6.

52- انظر ترجمته في: معجم المفسرين من صدر الإسلام وحتى العصر الحاضر، عادل نويهض، 795/2، قدم له: مُفتي الجمهورية اللبنانية الشَّيْخ حسن خالد، الناشر: مؤسسة نويهض الثقافية للتأليف والترجمة والنشر، بيروت – لبنان، الطبعة: الثالثة، 1409 هـ - 1988 م.

53- تعليق على قوله: فنوديت في سري، محمد ابن علي الخروبي، مخطوط بالخزانة الحسنية، الرباط، مسجل تحت رقم: 12259، الورقة 60-ب.

54- المصدر السابق، الورقة 61-أ.

بالعقيدة وتحصينها من الهجمات والضربات، ووقوفها في وجه كل أشكال الإقصاء الفكري والنفسي والجسدي، الذي تختزله كلمة الإرهاب، التي تتنافى تماما مع قيمة الوسطية.

فالأشعرية واجهت ظاهرة التكفير التي عانى منها المسلمون زمنا طويلا، فنظرة عابرة لسيرة أبي الحسن الأشعري، يفهمنَّ منها القارئ أن طريقة أبي الحسن قد أخمدت الصراع المحتدم الذي غذاه تكفير الفرق الإسلامية بعضها البعض، وأن الأشعري مات وهو لا يكفر أحدا من أهل القبلة.

خاتمة

إن المدرسة الأشعرية كانت أحد الأركان التي بعثت لدى المغاربة، روح الحيوية والنشاط في العلوم النظرية، وأبعدت عنهم شبهة العلم غير النافع، وأعادت للإيمان أصالته، بتفعيل المعرفة على مستوى القلب واللسان والجوارح فكان كبار فقهائهم متكلمين ومتصوفة.

وقد توصلنا من خلال مطالب هذا البحث إلى مجموعة من النتائج نجملها فيما يلي:

1/ وسطية المدرسة الأشعرية المغاربية في تناول القضايا الكلامية التي اتجهت إلى تفعيل علم الكلام، من خلال القضايا الواقعية، والنوازل المعاصرة.

2/ وسطية المدرسة الأشعرية المغاربية في تقرير العقيدة الإسلامية، فنجحت في التوفيق بين العقل والنقل، وذلك بالابتعاد عن الإيغال في التنظير العقلي الذي يؤدي إلى اختلاط العقيدة بالفلسفة، وتحلية كتب العقيدة بالشواهد القرآنية والأحاديث النبوية.

3/ وسطية المدرسة الأشعرية المغاربية في التزام العلم والعمل، فصححت النشاط والجهاد والسلوك الصوفي، بميزان الشرع والعلم الصحيح الموافق للكتاب والسنة والذي لا يتعارض مع مبادئ العقيدة.

4/ المساهمة الحضارية للمدرسة الأشعرية المغاربية، من تأسيس الدولة، إلى نشر العلم الصحيح، وتصحيح عقائد الناس، والرد على المنكرات والبدع التي كانت سائدة عند العامة.

5/ المساهمة الحضارية للمدرسة الأشعرية المغاربية، في إثراء الرصيد المعرفي، ورفع منسوب الوعي والفكر في الغرب الإسلامي، من خلال تعميم علم الكلام، وكثرة التصانيف المتناسبة مع جميع طبقات المجتمع.

6/ المساهمة الحضارية للمدرسة الأشعرية المغاربية، في الحفاظ على عقائد المغاربة السنية، فالأشعرية ظلت في تاريخ الغرب الإسلامي الطويل هي الحامي من الفرق الضالة والمذاهب المنحرفة، ولا تزال قادرة على أداء هذا الدور، لا سيما إذا علمنا أن أبناء المسلمين عموما، والجزائريين خاصة، يتعرضون لحملات تنصيرية وإلحادية شرسة، ومحاولة غزو وتدمير للهوية الجزائرية من خلال محاولات التوسع لبعض الفرق الضالة، كالأحمدية والشيعة، والمذاهب المنحرفة كالعلمانية.

وأخيرا نقول أن المدرسة الأشعرية المغاربية لم تنل حقها من الدراسة والبحث ما يستدعي اهتماما خاصا بهذه المدرسة وبيان إسهاماتها الفكرية والحضارية أكثر، من خلال الندوات والبحوث العلمية المتخصصة.

المصادر والمراجع:

• إحصاء علوم الدين، أبو نصر الفارابي، ت: عثمان أمين، الطبعة: الثالثة، 1968م.

• إحياء علوم الدين، أبو حامد الغزالي، الناشر: دار المعرفة – بيروت.
• أخبار المهدي ابن تومرت وبداية دولة الموحدين، أبي بكر ابن علي الصنهاجي المكنى بالبيدق، ت: علي مكي، الناشر: دار المنصور، الرباط، 1971م.
• إضاءة الدجنة في اعتقاد أهل السنة، أحمد المقري، مراجعة وتعليق وتصحيح أبي الفضل عبد الله ابن الصديق الغماري، مكتبة القاهرة مطبعة محمد عاطف، القاهرة، 1954م.
• الأعلام، خير الدين الزركلي، الناشر: دار العلم للملايين، الطبعة: الخامسة عشر، 2002م.
• الإعلام بمن حل بمراكش وأغمات من الأعلام، العباس ابن إبراهيم السملالي قاضي مراكش، الناشر: المطبعة الملكية، الرباط، الطبعة: الثالثة، 1993م.
• تاريخ الإسلام، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد الذَهَبي، ت: بشار عواد معروف، الناشر : دار الغرب الإسلامي، الطبعة: الأولى، 2003م.
• التشوف إلى رجال التصوف ، ابن الزيات، ت: أحمد التوفيق، منشورات كلية الآداب، المغرب، الطبعة الأولى، 1984م .
• تعليق على قوله: فنوديت في سري، محمد ابن علي الخروبي، مخطوط بالخزانة الحسنية، الرباط، مسجل تحت رقم: 12259.
• تطور المذهب الأشعري في الغرب الإسلامي، يوسف احنانة، الناشر: وزراة الأوقاف المغربية، 2003م.
• تجليات الفكر المغربي، عبد المجيد الصغير، ص: 44-45، الناشر: شركة النشر والتوزيع للمدارس، الدار البيضاء – المغرب.
• ثلاث رسائل في التوحيد والهيللة، أبي عبد الله محمد بن عبد الله الهبطي، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة: الأولى، 2002م.
• جامع مسائل الأحكام لما نزل من القضايا بالمفتين والحكام، المعروف بفتاوى البرزلي، أبي القاسم بن أحمد البلوي البرزلي، ت: محمد الحبيب الهيلة، الناشر: دار الغرب الإسلامي، 2002م.
• الحكم بالعدل والإنصاف الرافع للخلاف فيما وقع بين بعض فقهاء سجلماسة من الاختلاف في تكفير من أقر بوحدانية الله، وجهل بعض ما له من الأوصاف، أبي سالم العياشي، ت: عبد العظيم صغيري، الناشر: وزارة الأوقاف المغربية، 2015م.
• حواش على عمدة أهل التوفيق والتسديد في شرح عقيدة أهل التوحيد الكبرى للسنوسي، إسماعيل بن موسى الحامدي، الناشر: مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر، 1936م.
• الدرة المفردة في شرح العقيدة المرشدة، ابن النقاش، مخطوط بالخزانة الحسنية، الرباط، مسجل تحت رقم: 12467.
• دوحة الناشر لمحاسن من كان بالمغرب من مشايخ القرن العاشر، محمد ابن عسكر الحسني الشفشاوني، ت: محمد حجي، الناشر: دار المغرب للتأليف والترجمة والنشر، الرباط، 1977م.
• ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، عبد الرحمن بن محمد بن محمد، ابن خلدون أبو زيد، ولي الدين الحضرمي الإشبيلي، ت: خليل شحادة، الناشر: دار الفكر، بيروت، الطبعة: الثانية، 1408هـ- 1988م.
• الذخيرة، أبو العباس شهاب الدين أحمد بن إدريس بن عبد الرحمن المالكي الشهير بالقرافي، ت: محمد حجي – سعيد أعراب – محمد بوخبزة، الناشر: دار الغرب الإسلامي- بيروت، الطبعة: الأولى، 1994 م.
• الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة، أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الملك الأنصاري الأوسي المراكشي، ت: الدكتور إحسان عباس، الدكتور محمد بن شريفة، الدكتور بشار عواد معروف، الناشر: دار الغرب الإسلامي، تونس، الطبعة: الأولى، 2012 م.
• رسائل في التوحيد والهيللة، أبي محمد عبد الله بن محمد الهبطي، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة: الأولى، 2002م.
• رسالة الإخوان إلى سائر البلدان، علي بن ميمون الغماري، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، 2002م.
• رسالة النصر في كراهة القبض والاحتجاج لمن نازع فيها في صلاة الفرض، المهدي الوزاني، مخطوط محفوظ في الخزانة الحسينية بالرباط، مسجل تحت رقم: 12198.
• الروض العطر الأنفاس بأخبار الصالحين من أهل فاس، محمد بن عيشون الشراط، ت: ،زهراء النظام، منشورات كلية

الآداب، المغرب، 1997م.
• شرح أم البراهين، محمد بن يوسف السنوسي، الناشر: مطبعة الاستقامة، الطبعة: الأولى، 1351هـ.
• شرح المقاصد في علم الكلام، سعد الدين مسعود بن عمر بن عبد الله التفتازاني الشافعي، 14/1، الناشر: دار المعارف النعمانية – باكستان، الطبعة: الأولى، 1401هـ - 1981م.
• شرح مرشدة ابن تومرت، أبي عبد الله محمد ابن خليل السكوني، ت: يوسف احنانة، الناشر: دار الغرب الإسلامي، الطبعة: الأولى، 1993م.
• عثمان السلاجي ومذهبيته الأشعرية، جمال علال البختي، الناشر: وزارة الأوقاف المغربية، 2005م.
• عدة المريد الصادق، أحمد زروق، منشور ضمن: الشيخ أحمد زروق آراؤه الإصلاحية، لإدريس عزاوي، الناشر: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الرباط، 1998م.
• قواعد التصوف، أحمد زروق، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة: الثانية، 2005م.
• لحن العوام في علم الكلام، أبي علي السكوني، ت: سعد غراب، من دون طبعة ومن دون تاريخ.
• مختصر من العقيدة الصغرى للسنوسي، مؤلف مغربي غير مذكور، مخطوط محفوظ في الخزانة الحسنية بالرباط، مسجل تحت رقم: 646.
• المعجب في تلخيص أخبار المغرب من لدن فتح الأندلس إلى آخر عصر الموحدين، عبد الواحد بن علي التميمي المراكشي، محيي الدين، ت: الدكتور صلاح الدين الهواري، الناشر: المكتبة العصرية، صيدا-بيروت، الطبعة: الأولى، 1426هـ - 2006م.
• مُعجَمُ أعلام الجزائِر مِن صَدر الإسلام حَتّى العَصر الحَاضِر، عادل نويهض، الناشر: مؤسسة نويهض الثقافية للتأليف والترجمة والنشر، بيروت – لبنان، الطبعة: الثانية، 1400 هـ - 1980 م.
• معجم المفسرين من صدر الإسلام وحتى العصر الحاضر، عادل نويهض، قدم له: مُفتي الجمهورية اللبنانية الشَّيْخ حسن خالد، الناشر: مؤسسة نويهض الثقافية للتأليف والترجمة والنشر، بيروت – لبنان، الطبعة: الثالثة، 1409 هـ - 1988 م.
• المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوي أهل إفريقية والأندلس والمغرب، أبي العباس أحمد بن يحيى الونشريسي، ت: خرجه جماعة من الفقهاء بإشراف الدكتور محمد حجي، الناشر: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية للملكة المغربية1401هـ - 1981م.
• المقدمة، عبد الرحمن بن خلدون، الناشر: دار الجيل، بيروت.
• المهدي ابن تومرت، عبد المجيد النجار، الناشر: دار الغرب الإسلامي، الطبعة: الأولى 1983م.
• المواقف، عضد الدين الإيجي، ت: عبد الرحمن عميرة، الناشر: دار الجيل - لبنان – بيروت، الطبعة: الأولى، 1417هـ - 1997م.
• الموحدون في الغرب الإسلامي تنظيماتهم ونظمهم، عز الدين عمر موسى، الناشر: دار الغرب الإسلامي، الطبعة: الأولى، 1991م.
• نظم الجمان في أخبار الزمان، أبو الحسن علي بن محمد الكتابي الفاسي، ابن القطان، ت: علي مكي، الناشر: جامعة محمد الخامس، الرباط.
• نيل الابتهاج بتطريز الديباج، أحمد بابا بن أحمد بن الفقيه الحاج أحمد بن عمر بن محمد التكروري التنبكتي السوداني، أبو العباس، ت: الدكتور عبد الحميد عبد الله الهرامة، الناشر: دار الكاتب، طرابلس – ليبيا، الطبعة: الثانية، 2000 م.
• ورقات عن الحضارة المغربية في عصر بني مرين، محمد المنوني، منشورات كلية الآداب، المغرب، 1997م.